



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"أخري موت" هو النص الأسبوعي السادس من كتاب "فَيَقْرَأ" (أي سفر اللاويين)، وهذا النص الأسبوعي يبدأ من الآية الأولى من المقطع السادس عشر، وينتهي بالآية الثلاثين من المقطع الثامن عشر.

سَبَاقَاتُ الْعَدُوِّ السَّرِيعِ وَالْمَارَاتُونَاتُ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

لقد كانت لحظةً فريدةً لا تتكرر، تجلّت فيها القيادة في أسمى درجاتها. فطوال أربعين يومًا، كان نبيّ الله ورسوله موشيه/موسى في مناجاةٍ مع الله عزّ وجلّ فوق جبل سيناء، يتلقّى منه الشريعة المكتوبة على لوحين من حجر. ثم أخبره الله عزّ وجلّ أنّ الشعب قد صنع عجلًا ذهبيًا، وأنّه قرّر إفناءهم عن بكرة أبيهم. كانت تلك أسوأ أزمةٍ مرّوا بها في سنوات تيههم في الصحراء، وقد استدعت من نبيّ الله ورسوله موشيه أن يستحضر كلّ مواهبه وقدراته القيادية.

وكان أوّل ما فعله أنّه تضرّع إلى الله عزّ وجلّ في دعائه ألاّ يُهلك الشعب، فاستجاب الله عزّ وجلّ له. ثم نزل من الجبل، فلمّا رأى الناس منغمسين في لهوٍ صاخبٍ ورقصٍ حول العجل، لم يحتمل المشهد، فحطّم اللوحين من شدة الغضب. بعد ذلك أحرق العجل، وذرّ رماده في الماء، وسقى الشعب من ذلك الماء. ثم دعا الناس لكي يلتفتّ حوله من يقف مع الله عزّ وجلّ، فاستجاب اللاويّون، ونقذوا عقوبةً قاسيةً أودت بحياة ثلاثة آلاف شخص. وبعدها عاد نبيّ الله ورسوله موشيه إلى الجبل، فظلّ هناك أربعين يومًا وليلاً، وهو يُصليّ ويتشعّق لبني إسرائيل، ثم قضى أربعين يومًا وليلاً إضافيةً مع الله عزّ وجلّ حتّى نُقشَ لوحان جديدان. أخيرًا، نزل من الجبل في اليوم العاشر من الشهر العبري تشرية حاملًا اللوحين الجديدين، وكان نزوله علامةً ظاهرةً على أنّ العهد بين الله عزّ وجلّ وشعبٍ إسرائيل ما زال قائمًا.

تُجسّد هذه الأفعال التي قام بها نبيّ الله ورسوله موشيه إحدى قمم القيادة الاستثنائية، فتارةً تتجلّى فيها الجراءة والحسم، وتارةً أخرى تتجلّى فيها المثابرة والصبر الطويل. كان على نبيّ الله ورسوله موشيه أن يتعامل مع الطرفين معًا، فيدعو الشعب إلى الـ"تشوفاه" وهي كلمة عبرية تعني التوبة والرجوع، ويطلب من الله عزّ وجلّ الـ"كتاراه" أي المغفرة والتكفير عن ذنوبهم. وفي تلك اللحظة، كان نبيّ الله ورسوله موشيه هو التجسيد الأعظم لاسم إسرائيل، كما ورد في الآية الثامنة والعشرين من المقطع الثاني والثلاثين من سفر التكوين: "لَأَنَّكَ تَرَأَسْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ وَطِغْتَ ذَلِكَ" (لَأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ).

والخبر السارّ هو أنّه كان بين البشر ذات يومٍ قائدٌ كهذا النبيّ، وبفضله نجا الشعب من الهلاك، غير أنّ السؤال الذي يفرض نفسه هو: ماذا يحدث حين لا يكون هناك رجلٌ مثل موسىه؟ فالتوراة نفسها تقول في الآية العاشرة من المَقْطَع الرابع والثلاثين من سفر التثنية: "وَلَمْ يَقُمْ بَعْدَ ذَلِكَ نَبِيٌّ لِيِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسِيهِ". وهذه هي المعضلة التي تُواجه كلّ شعبٍ أو مؤسسةٍ أو جماعةٍ أو أسرة: ماذا نفعل حين يغيب القائد الملهم؟ من السهل أن نقول "فكّروا فيما كان سيفعله موسىه"، غير أنّه في الحقيقة قد فعل ما فعله لأنّه كان ما كان عليه، أي وفقاً لقدراته الاستثنائية وشخصيّته الفدّة. أمّا نحن فلسنا هو. ولهذا تواجه على الدوام كلّ جماعةٍ بشريّةٍ كانت ذات يومٍ تحت قيادةٍ عظيمةٍ تحديّ الاستمرارية: كيف تحافظ على ما بُني دون أن تنحدر تدريجيّاً نحو الضعف؟

ويُقَدِّم النصّ الأسبوعي الذي بين أيدينا "أَحْرِي مُوت" الجواب على ذلك السؤال. فالיום الذي نزل فيه نبيّ الله ورسوله موسىه من الجبل حاملاً اللوحين الثانيين سيُخَلَّدُ في الذاكرة، إذ أصبحت ذكراه السنويّة يومًا مُقَدَّسًا هو يوم كيپور (يوم الغفران). ففي هذا اليوم تُعاد كلّ سنةٍ دراما الـ"تَشَوِّفاه" والـ"كَيَّاراه"، ولكنّ الشخصية المركزيّة هذه المَرّة ليست موسىه بل أخاه آهارون/هارون، أي ليس النبيّ بل الكاهن الأكبر.

وهكذا نحافظ على الحدث التحويليّ حين نجعل منه طقسًا متكرّرًا. وقد أطلق عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (Max Weber) على هذه العملية اسم "روتينيّة الكاريزما"، أي تحويل لحظةٍ فريدةٍ - تحدث لمَرّةٍ واحدةٍ دون أن تتكرّر - إلى طقسٍ يتكرّر إلى الأبد، فالموقفُ الفريد الذي لا يتكرّر يصبح طقسًا دينيًّا يتجدّد كلّ عام. وكما قال العالم الأمريكي جيمس ماكجريجور بورنس (James MacGregor Burns) في كتابه الكلاسيكي Leadership أي "القيادة"²: "إنّ الفعل الأكثر دوامًا وتأثيرًا من أفعال القيادة هو إنشاء مؤسسةٍ، سواءً كانت أمةً أو حركةً اجتماعيّةً أو حزبًا سياسيًا أو إدارةً بيروقراطيّةً، تستمرّ في ممارسة القيادة الأخلاقيّة وتُعزّزُ التغيير الاجتماعيّ المطلوب بعد زمنٍ طويلٍ من رحيل القادة الخالقيين".

يُروى في الـ"مِدراش" نصٌّ رائعٌ يقدّم فيه عددٌ من كبار حاخامات اليهود تصوّرههم عمّا يُسمّى "كلال غَدول بَتوراه"، أي "المبدأ العظيم في التوراة". وفي هذا السياق، قال الحاخام الكبير بن عزّاي إنّ هذا المبدأ يتجلّى في الآية الأولى من المَقْطَع الخامس من سفر التكوين: "هَذَا شَرْحُ تَوَالِيدِ آدَمَ، كَمَا أَنَّ فِي يَوْمِ خَلْقِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، بِشَبْهِهِ مُتَسَلِّطًا صَنَعَهُ". وقال الحاخام الكبير بن زوما إنّ هناك مبدأً أكثر شمولاً ورد في الآية الرابعة من المَقْطَع السادس من سفر التثنية: "اسْمَعْ/اعْلَمْ يَا يِسْرَائِيلَ، أَنَّ اللهَ رُبُّنَا، اللهُ الْوَاحِدُ". أمّا الحاخام الكبير بن ناناس فقال إنّ هناك مبدأً أعمّ وأشمل ورد في الآية الثامنة عشرة من المَقْطَع التاسع عشر من سفر اللاويّين: "أُخِبْتُ لِصَاحِبِكَ مِثْلَ نَفْسِكَ". ثمّ جاء الحاخام الكبير بن پاڤي فقال إنّنا نجد مبدأً أوسع من جميع ما ذكر، ورد في الآية التاسعة والثلاثين من المَقْطَع التاسع والعشرين من سفر الخروج: "أَحْذَرُهُمَا (أي أحد الحمليّين) بِالْعَدَاةِ وَالْأَخْرِ بَيْنَ الْعُرُوتَيْنِ"، أي إنّ هاتين الذبيحتين اليوميّتين قد حلّت محلّهما صلواتنا الثلاث اليوميّة: صلاة الشّخاريت (صلاة الفجر)، وصلاة المِنْحاه (صلاة الظهر أو العصر)، وصلاة المَعْرِيف (صلاة المغرب). وخلاصة هذا المبدأ بكلمةٍ واحدةٍ هي "الروتين اليومي". ويختتم المِدراش قائلاً إنّ الـ"هلاخاه"، أي الشريعة الدينية اليهوديّة وأحكامها العمليّة، تتبّع قول الحاخام بن پاڤي.³

1. See Max Weber, *Economy and Society* (Oakland, Calif.: University of California Press, 1978), 246ff.

2. James MacGregor Burns, *Leadership* (New York: Harper, 1978), 454.

3. The passage is cited in the introduction to the HaKotev commentary on Ein Yaakov, the collected aggadic passages of the Talmud. It is also quoted by Maharal in Netivot Olam, Ahavat Re'a 1.

يُرد هذا المَقْطَع في مقدّمة تفسير "هاكوتف" على "عين يعقوف"، وهو مجموع المقاطع الأغاديّة من التلمود، كما ينقله يهوذا لوف بن بتسلئيل المعروف بالـ"المهرال" في "نتيفوت عولام"، طريق محبة القريب، ١.

وإن المغزى من قول الحاخام بن بازي واضحٌ وجليّ. فجميع المبادئ السامية التي ذكرها الحاخامات الآخرون، أي فكرة الإنسان المخلوق على صورة الله، والإيمان بوحداية الله، ومحبة القريب، لا تُثمر إلا حين تتحوّل إلى أنماطٍ من السلوك تتكرّر مع مرور الوقت حتّى تُصبح عاداتٍ للقلب. فبإمكان كلِّ منّا أن يتذكّر لحظة من لحظات من الإلهام المفاجئ الذي ينير بصيرتنا حين نُدرِك فجأةً معنى الحياة الحقيقيّ، أو نلمس جوهر العظمة، أو نعرف كيف نودّ أن نحيا. لكنّ هذا الإلهام سرعان ما يخبو بعد يومٍ أو أسبوعٍ أو عامٍ على الأكثر، فيتلاشى الحماس ويُصبح مجرد ذكرى بعيدة، ونعود كما كنّا من قبل من غير أن نتغيّر.

تكن عظمة الديانة اليهودية في أنّها أفسحت مكاناً لكلّ من النبيّ والكاهن، أي للإلهام والرؤية من جهة، وللنظام اليوميّ والممارسة المنتظمة من جهةٍ أخرى. فهي تجمع بين لحظة النبوة التي تُوقظ الروح، وطقوس الكهنوت التي تُجدر تلك الرؤية في الحياة اليومية من خلال الـ"هلاخاه"، أي الشريعة الدينية اليهودية وأحكامها العملية، التي تحوّل الرؤى السامية إلى أنماطٍ من السلوك تُعيد تشكيل الدماغ وتُغيّر مشاعرنا القيمة وجوهر هويتنا.

من أكثر المقاطع اللافنة التي قرأتها عن الديانة اليهودية مقطعٌ كتبه كاتبٌ غير يهودي، هو ويليام ريس-موغ في كتابه عن الاقتصاد الكليّ The Reigning Error أي "الخطأ السائد"⁴ (وُلد ريس-موغ سنة 1928، وتوفي سنة 2012). كان ريس-موغ صحفياً اقتصادياً أصبح رئيس تحرير صحيفة التايمز، ورئيس مجلس الفنون، ونائب رئيس هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، وكان على الصعيد الدينيّ كاثوليكيّاً ملتزماً. وقد استهلّ كتابه بإشادةً بليغةٍ وغير متوقّعة باليهودية الهلالية، أي اليهودية كما تعبّر عنها الـ"هلاخاه". ووضّح سبب إعجابه بها بقوله إنّ التضخّم الاقتصاديّ إنّما هو مرضٌ ناجمٌ عن الإفراط، وعن الفشل في ضبط النفس فيما يتعلّق بإدارة المال، وأنّ ما يجعل اليهودية فريدةً هو نظامها القانوني. وقد أخطأ بعض المسيحيين في انتقادهم لهذا النظام، حين اعتبروه نظاماً قانونياً جافاً، في حين أنّ الشريعة اليهودية كانت، في الحقيقة، شرطاً لبقاء الشعب اليهودي، لأنّها "قدّمت معياراً تُختبر به الأفعال، وقانوناً لتنظيم السلوك، وبؤرةً يتركز فيها الإخلاص لشرائع الله عزّ وجلّ، وحدوداً لضبط اندفاع الطبيعة البشرية".

إنّ جميع مصادر الطاقة في العالم، ولا سيّما الطاقة النووية، تحتاج إلى شكلٍ من أشكال الاحتواء والضبط لكبح فائض القوة، وإلا تحوّلت إلى خطرٍ مدمر. وقد كانت الشريعة اليهودية على الدوام بمثابة وعاءٍ يحتوي الطاقة الروحية والفكرية للشعب اليهودي، بحيث "لم تنفجر ولم تتبدّد، بل جرى تسخيرها لتصبح قوّة مستمرة". ويرى ريس-موغ أنّه يوجد لدى اليهود نظامٌ تفتقر إليه الاقتصادات الحديثة، وهو نظام الانضباط الذاتي، الذي يسمح بازدهار اقتصاديٍّ متوازن، من دون طفرات اقتصادية مفاجئة تليها انهيارات حادة، وبدون تضخّم ولا ركود. وينطبق الأمر ذاته على القيادة. ففي كتابه From Good to Great أي "من الجيد إلى العظيم"، يرى الباحث في علم الإدارة جيم كولينز أنّ القاسم المشترك بين الشركات العظيمة هو ثقافة الانضباط. وفي كتابٍ آخر له بعنوان Great by Choice أي "العظمة بالاختيار"، استخدم عبارة "مسيرة العشرين ميلاً" لشرح أنّ المنظمات المتميّزة تخطّط للمسافات الطويلة وللأهداف البعيدة، مشبّهاً إياها بسباقات الماراثون، لا للاندفاعات القصيرة، التي شبهها بسباقات العدو السريع.

فالثقة المتولّدة داخل الشركات أو المؤسسات، كما يقول، "لا تأتي من الخطابات التحفيزية ولا من الإلهام الكاريزميّ ولا من التجمعات الحماسية الصاخبة لرفع المعنويات، ولا من التفاؤل غير المبرّر أو الأمل الأعمى"⁵، بل من العمل الدؤوب الذي يتكرّر يوماً بعد يومٍ وسنةً بعد سنةٍ بثباتٍ ومثابرة. إنّ الشركات العظيمة تُمارس انضباطاً محدّداً ومنهجياً ومتسقاً، وتُشجّع العاملين فيها على التحلّي بالمسؤولية وضبط النفس، ولا تبالغ في ردود فعلها تجاه التغيرات،

4. William Rees-Mogg, *The Reigning Error: The Crisis of World Inflation* (London: Hamilton, 1974), 9–13.

5. Jim Collins, *Good to Great* (New York: Harper Business, 2001); *Great by Choice* (New York: HarperCollins, 2011), 55.

سواءً كانت إيجابيّة أم سلبيةً، وتُبقى أنظارها شاخصةً نحو الأفق البعيد، والأهمّ من ذلك أنّها لا تعتمد على القادة الكاريزماتيين الذين يُحسنون أداء الشركة لفترةٍ قصيرةٍ دون أن يمنحوا الشركة قوّةً متجدّرةً تمكّنها من الازدهار على المدى الطويل.

والمثال الكلاسيكيّ للمبادئ التي شرحها كلّ من بيرنز وريس-موغ وكولينز يتجسّد في التحوّل الذي وقع بين نصّ "كيّ تيسّا" والنصّ الذي بين أيدينا "أخريّ مُوت"، أي بين يوم كيپور الأوّل ويوم كيپور الثاني، وبين القيادة البطولية لنبيّ الله ورسوله موشيه، والانضباط الكهنوتيّ الهاديّ ليومٍ سنويٍّ مُخصّصٍ للتوبة والتكفير عن الذنوب. إنّ تحويلَ المُثل العليا والرؤى إلى قواعدٍ عمليةٍ تُشكّلُ عادات القلب، هو جوهرُ اليهوديّة والقيادة على حدٍّ سواء: ألا نفقد أبدًا إلهام الأنبياء، وألا نفقد أيضًا العادات التي تُحوّل المُثل إلى أفعال، والأحلام إلى واقعٍ متحقّق.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Facebook Twitter Instagram LinkedIn YouTube | RABBISACKS.ORG